الشخصية والواقع في رواية "زمن النمرود" للحبيب السايح*

Character and reality in Lhabib Essaih´s novel Zamane Ennumrud

د. الطاهر مسيلي
جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية (الجزائر)
البريد: tahermessili47@gmail.com

ملخّص : يهدف هذا المقال إلى الكشف عن مدى تمكن الروائيين الجزائريين من تقنيات كتابة الرواية وتوظيفها في التعبير عن رؤاهم فيما يجري حولهم من أحداث. وهذه الرواية الموسومة بـ "زمن النمرود" للحبيب السايح تعتبر بحق في زمنها طفرة نوعية في الكتابة الروائية المحلية، ويعود هذا لجرأتها في نقل وتعرية واقع البلد بأسلوب جريء لم يسبقه أي نص في ذلك، مستغلا مبدعها عنصر الشخصية لتصوير الظروف التي مرت بها الجزائر نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن العشرين.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في إظهار الكيفية التي تم بها انتقاء وعرض الشخصيات المحورية، وتصوير الصدام الذي حدث بينها بغية تقريب وتعريف المتلقي بما ميز المرحلة المعبر عنها من تاريخ وطننا المعاصر.

كلمات مفتاحية : الرواية، الشخصية، زمن النمرود، الواقع، الصدام

Abstract : This paper aims to reveal the extent to which Algerian novelists are able to use novel writing techniques to express their visions about the different events happening around them.

In this context, Lahbib Essaiah can be considered as a pioneer, because he dared to strip reality and succeeded in that, due to the manner he presents his characters and assigns them their roles to depict the conditions that Algeria went through at the end of the seventies and the beginning of eighties of the twentieth century.

* تاريخ تسلم البحث : 2020/10/07 تاريخ قبول البحث : 2020/12/25 تاريخ النشر : 2021/05/15

The importance of this studies lies in demonstrating how Lahbib Essaiah selected and presented his main characters, and how he portrayed the clash that occurred between them, in order to tell the reader how did Algeria live that era.

Kaywords : Novel, character, Zamane Ennumrud, reality, clash

مقدمة:

يعتبر مفهوم الشخصية من المفاهيم الحديثة في المعاجم العربية، حيث ورد ذكرها في "المعجم الوجيز" (الميسر) بأنها (صفات تميز الشخص من غيره. ويقال: فلان ذو شخصية قوية: ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل)[1] عن الآخرين.

والشخصية الروائية في أبسط مفهوم لها ما هي سوى أحد (أحد الأفراد الخياليين، أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداثها، ولا يجوز الفصل بينها وبين الأحداث، فبناء كل عنصر يحتاج إلى الثاني، فالشخصية لم تعد تحدد بصفاتها وخصائصها الذاتية، بل بالأعمال التي تقوم بها ونوعية هذه الأعمال)[2].

ومن المعروف أن أي مقام حكائي لابد من توفره على شخصية واحدة على الأقل، فالرواية كي تروى لابد أن تتوفر على (شخصية موضوعة في زمان ومكان خاصين بها. وهناك قضية مازال الجدل قائما فيها ولم تحسم بعد وهي الطريقة التي يقدم بها الراوي شخصيته إلى القارئ، وهذا راجع إلى وجود تقديمات مختلفة للشخصية حسب كل روائي، فهناك من جهة الروائيين الذين يرسمون شخصياتهم بأدق تفاصيلها، وهناك من يحجب عن الشخصية كل وصف مظهري)[3]، وهناك من ينوع شخصياته، وهذا التنويع لا يكون إلا لتقديمها مختلفة الحلقات متصادمة الطبائع متناقضة السجايا[4] ، وهذا ما تجلى في رواية "زمن النمرود" حيث قسم الروائي شخصياتها إلى طرفين متناقضين يحملان العداء لبعضهما و(تتعدد أشكال صراعهما السياسي والاجتماعي اعتبارا لتباين المصالح واختلاف المواقف من الواقع الراهن، ومن جزائر الاستقلال، ومن ثمة تباعد الرؤى إزاء نحت معالم المستقبل، يمثل الطرف الأول عالم ذرية النمرود، أو شياطين ابن باديس على حد تعبير خصومهم من السياسيين الذين يشغلون مناصب داخل أجهزة السلطة، في حين يمثل الطرف الثاني عالم ذرية الذئاب، أو بني الحلاليف، أو بني كلبون مثلما تنعتهم ذرية النمرود)[5].

وتكمن إشكالية هذه الدراسة في الإجابة عن التساؤل الآتي: هل استطاع الحبيب السايح في روايته هذه الاستفادة من تقنيات تصوير وعرض الشخصيات واستغلالها في التعبير عن المرحلة التاريخية التي عالجها، أم أن توظيفه لها كان سطحيا؟ وبهذا المعنى فإني سعيت جاهدا إلى الكشف عن مدى مقاربة الروائي في صياغة واقع تلك الحقبة من خلال حسن انتقائه وتقديمه للشخصيات التي مثلت عالم روايته هذه.

ولتصوير الصراع الذي دار بين شخصيات هذه الرواية فإني ارتأيت تقسيم هذا المقال إلى عنصرين رئيسيين، الأول خص شخصيات "ذرية النمرود"، أما الثاني فكان متعلقا بشخصيات "ذرية الذئاب".

أولا-شخصيات ذرية النمرود:

تتكون من جيلين، الأول تمثله فئة المجاهدين الذين دافعوا عن الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، أما الثاني فتمثله مجموعة من الشباب الذين آمنوا باستقلال وطنهم وبضرورة بنائه والمحافظة عليه.

1 -**جيل الثورة:** يتكون من الشخصيات الآتي ذكرها:

1-1-ولد ربيعة: ابن شهيد، التحق بالثورة بعد قضائه على أحد العملاء، كما جرح في إحدى المعارك المسماة بـ(اللبة)، وأودع السجون الفرنسية. وبعد الاستقلال مباشرة التحق بمهنة التدريس. يمتاز بوعي عميق بمختلف مظاهر الواقع وانحراف السلطة (كاتب القسمة معلم، يفهم أكثر من غيره من المناضلين في القسمة، يفهم علاقته ومساعيه، يدرك ما يجري داخل القسمة وخارجها، ما يجري في البلدية لا يفوته، يعرف قانون المنظمات الجماهيرية...)[6].

وينزع في مواقفه وخطاباته داخل الرواية إلى انتفاد "ذرية الذئاب" ويحملها مسؤولية نكسات جيله وخيبة أمله في الاستقلال، ويظهر ذلك جليا في الحوار الذي دار بينه وبين صديقه المسعودي (غلة الاستقلال ما ذقناها يا خويا المسعودي... أنا قلبي دود، والحالة طالت، أغنياء وقتنا اليوم: كيف كانوا قبل الاستقلال؟؟... من أين جاتهم الأموال؟؟ ليلة القدر؟؟ الاستقلال أغناهم...؟؟... أه خويا المسعودي أه. أنا مع الحلاليف صبري نفذ، عييت، كذبي طال على التلاميذ في المدرسة... أنا عقلي خرج وصدري ضاق، عاقبتها الإنسان يخرج من رحمة ربي)[7].

وكان يرى بأن الانتخابات المقبلة ستحمل التغيير لصالحهم لذلك نجده يطلب من منسق القسمة "يزيد" عدم الضغط على المناضلين وترك الانتخابات تسير بنزاهة وإلا فالاتحاد والقانون هما

اللذان سيكونان الحد الفاصل بينهما؛ (خل المناضلين في حالهم، بدون تهديد، رشح نفسك كمناضل، وإلا... إذا وصلت للحمية عندنا الحمية، وإذا وصلت للملفات، وإذا وصلت للقانون القانون معنا ضدك)[8].

ونتيجة لموقفه هذا فإن كلا من منسق القسمة ورئيس اتحاد الفلاحين عملا على تشويه سمعته وذلك بإلصاق التهم به، فهو في نظرهما شيوعي، كافر وملحد.

ولما جاءت عملية فرز أصوات الانتخابات التي آلت نتائجها بفعل عملية التزوير لصالح ذرية الذئاب أصيب في رأسه نتيجة الصدام الدموي الذي دار بين الطرفين المتعارضين، وانتهى به المطاف في السجن.

1-2-المسعودي: مجاهد شارك مع الفرنسيين في حرب الفيتنام، وهناك تعلم القراءة والكتابة قبل أن يفر مع عدد من الجنود إلى الجزائر في السنة الثانية من الثورة للمشاركة فيها. وبعد وصوله إلى أرض الوطن التحق بالثورة المسلحة وذلك بمركز للمجاهدين في القرية التي يسكن بها.

وبعد الاستقلال مباشرة اهتم بالفلاحة فكان رئيس فوج عمال لمزرعة "بلخير" التي عرفت مشكلا في بيع التفاح، وهذا بسبب تمادي مسؤول اتحاد الفلاحين "الحاج الحرايري" وبقية المسؤولين في مختلف إدارات الولاية في حل المشكلة، الأمر الذي دفع به إلى تحديهم وتحمل المسؤولية (هذه المزرعة انتزعناها من الكولون، نحن نسيرها، نحن نحل مشاكلها...)[9].

ولكي تنتظم أمور الفلاحين وتسير بوتيرة جيدة كان يدعو إلى تشكيل تكتل يحمي مصالحهم (هذه خذها من عندي يا خويا، التنظيم هو عين الإنسان، وهو المومو، بالتنظيم تقدر على التمييز هذه خضراء، هذه سوداء، هذا طالع، هذا نازل، هذا عدو، وهذا صديق. العالم كله – كما الفيلم - يبدأ بين عينيك يفوت، إذا غلطت تصلح في الحين وتواصل الطريق. عمالنا، هذه شروط تنقصهم... عند أغلبهم – كما عند المستفيدين...)[10].

ولما كان يؤمن بضرورة تغيير الوضع الحالي فهو يرى بأن (الاشتراكية يلزمها حزب ثوري، وإلا تعثرت التجربة، الثورة كما (البابور) الحزب الثوري هو قايدها)[11]، لذلك وجب إزاحة "ذرية الذئاب" من مناصبها.

1-3-المانكو: مجاهد هو الآخر، شارك في الحرب العالمية الثانية ضد النازية ورفض خلالها نياشين الفرنسيين، فسجن بسبب ذلك. ومع بداية الثورة المسلحة التحق بإخوانه في الجبل وفيها فقد

ذراعه اليمنى. وكان كل ما حصل عليه من الاستقلال منصب حارس في البلدية يفتحها ويغلقها، وينظم كراسيها تحسبا للاجتماعات التي كان يحضرها دون أن يتفوه بكلمة واحدة، لأنه وببساطة طرد من الحزب بسبب موقفه المعارض لسياسة ذرية الذئاب (... أنا عاهدت نفسي، من ذاك الاجتماع كان الحاج عون الله ويزيد حاضرين اجتماعا، كل المجاهدين كانوا حاضرين اجتماعنا... خطبوا علينا، بعد قالوا لنا: عندنا انتخابات اختاروا ممثليكم في المنظمة في القايمة كانت أسماء... لكن يوم تنصيب قسمتنا فرضوا علينا ممثلين... تغلغلت، قمت وقلت: هذا ما هو حق... كتبوا في التقرير عليا... مشوش. وعزلوني. كان ورائي يزيد ببركة عون الله... كتبت وكتبت... رسالاتي كلها ما فاتت سعيدة ربي يتولاهم)[12].

وفي النهاية بقيت حسرة الظلم تخيم على نفسيته مستسلما بذلك لقضاء الله وقدره (جاهدنا في سبيل الله والوطن، وهذه كانت شهادتنا "الله أكبر تحيا الجزائر".

اليوم انتزعنا استقلالنا الحمد لله. الباقي ربي يجازي كل واحد على حسب نيته...لكن ما يضر هو الظلم، الظلم عندما يجيئك من ولد عمك)[13]. وهي صورة معبرة عن حالة التهميش والإقصاء التي عاشتها هذه الشخصية.

2-**جيل الاستقلال**: تمثله مجموعة من الشباب الذين آمنوا باستقلال وطنهم وبضرورة مواصلة ثورة البناء والتشييد، وذلك بالعمل على تجسيد الاشتراكية على أرض الواقع، وأبرز شخصيات هذه الفئة هم:

2-1-**أمين**: يعتبر راس ذرية النمرود وهو كبير المتطوعين، وصوت الوعي للمستفيدين من الثورة الزراعية والتأميمات ماضيا وعمال مصنع الورق في سعيدة حاضرا. دخل المصنع عاملا ثم أصبح إطارا وهو ما يزال طالبا بمعهد العلوم الاجتماعية. درس الكثير حول الاشتراكية والصراع الطبقي. اقتنع بضرورة إقران النظري بالعملي، فاتهم بالتشويش وبالعمالة لصالح المعسكر الشرقي (النضال أمر حيوي، والعمال ينبغي أن يخوضوه... حتى داخل نقابة صفراء)[14].

وبسبب جلب "الحاج عون الله" لعدد كبير من العمال من خارج الولاية، وإسناد مهمة تسيير مصنع الورق لشركة أجنبية عملت على تخريبه وإقصاء عماله وقف "أمين" في وجه المسؤولين قائلا: (..." لا مراقبة، لا تحكم في التسيير، ولا مجلس عمال ديمقراطي"...)[15].

ونتيجة لموقفه هذا من المسؤولين بتحميلهم للوضع الذي آل إليه المصنع أودع السجن رغم مساومته بالعدول عن رأيه مقابل الإفراج عنه إلا أنه بقي متشبثا بموقفه.

2-2-هارون: يأتي في المركز الثاني من حيث الثقل، وهو من متطوعي الاستقلال. استقطبته "ذرية النمرود" يوم حضر مؤتمر الشبيبة باعتباره ابن شهيد ومن دعاة حرية المرأة. ولد في السنة الثانية من اندلاع الثورة التحريرية، ومن ثمة يكون ابن الثانية والعشرين زمن الأحداث التي ألقي عليه القبض فيها من طرف أعوان الدرك الوطني بسبب نشره لمقال فضح فيه جرائم منسق القسمة ورئيس البلدية والجهاز الرقابي (قلتها: الرقابة منعدمة. وبعد؟؟ لا يزيد قائم بواجبه، ولا ابن عمه رئيس البلدية... قدام الشاف قايلها)[16]. فألصقت به تهمة المساس بالحريات الفردية، وتشويه أجهزة السلطة.

ولعدم ثبوت الأدلة الكافية ضده نجا، غير أنه أثناء تعيين أعضاء القسمة والمجلس الشعبي البلدي أصيب في رأسه نتيجة موقفه المعارض للتزوير، ووضع رهن الحبس مرة ثانية بحجة نشر الفوضى والتحريض على عدم نزاهة الانتخابات.

2-3-عوج الفم: يظهر بأنه من الشخصيات الفاعلة والأكثر تأثيرا في أحداث الرواية، ويمكن ضمه إلى "ذرية النمرود" على الرغم من اختلافه معها في الفكر من حيث تبني مبادئ الاشتراكية كاختيار للنهوض بالدولة فـ(عداؤه للاشتراكية لا يخفيه. يعتبرها بؤسا. فقرا وشقاء. يحاول إقناع غيره بموقفه. يناقش بحماس)[17]، متهما كل من يحمل الفكر الاشتراكي بالإلحاد والفسق والشيوعية، إلا أنه يتقاطع معهم في محاربة المفسدين من الإقطاعيين والليبراليين من "ذرية الذئاب"، فهم في نظره مخالفون لتعاليم الإسلام أيضا ويعملون على نهب خيرات البلاد.

ويمتاز "عوج الفم" بتضلعه وتبحره في أمور السياسة المحلية، كما يمتلك أيضا معلومات كثيرة عن السياسة العالمية والمسائل القانونية، والشرعية والفلسفية والأدبية. ويعرف جيدا المسؤولين المحليين للبلدية لأنه كان أحد مسؤوليها، أما الآن فالبلدية بالنسبة له بدعة.

كان يدرك جيدا بأن الانتخابات القادمة شكلية والشعب فيها ضحية (قال لجلسائه: يجددون أو لا يجددون، ينتخب الشعب أو لا ينتخب. زائد ناقص. أقول لكم منذ الآن من سيكون منسق القسمة. من سيكون رئيس البلدية. ومن سيكون رئيس الجمهورية القادم. كل شيء بالحساب... مخطط الشعب تباع. غنم بلا راعي...)[18].

ولنشر أفكاره اتخذ من مقهى "تشراك الفم" مكانا لترويج الشائعات ضد "ذرية الذئاب" قصد إضعافهم في الانتخابات المقبلة، وذلك بتعرية ماضيهم التاريخي المزيف وبحاضرهم المليء بالاختلاس والمجون، وهذا ما جعل "الحاج الحرايري" يتوعده بالنيل منه بعد حل مشكل التفاح.

وبسبب ما جرى في الانتخابات من صدام دموي بين الطرفين المتصارعين بدا "عوج الفم" سعيدا لأنه رأى "الحاج الحرايري" وأنصاره سيدفعون ثمن تزويرهم للانتخابات فأطلق العنان للسانه قائلا: (هذه أفعال الحرايري، لكن هذه المرة قبض عليه الكماش. والثمن دافعه. التحقيق يقع ويقر بفضيحته، الله، الله يا بني الحلاليف... كولوا بعضكم)[19].

كما بدا ساخرا من ذرية النمرود وعلى رأسهم "أمين"، لأنهم لا يؤمنون بالشعارات التي يتبناها النظام ويساندونه في ذلك (أمين الحكوميست خرج صباح اليوم من الحبس. ولد نقابي... ماركس جديد؟؟ قلتها له مرة، كان منسق كل "الحكوميست" هذا النظام تسانده يستعملك، في النهاية يرميك نفاية... حكيم كبير؟؟ هه، ها هو نظامه دخله الحبس)[20]. وفي النهاية قرر عوج الفم ترك المقهى لأنه لم يعد باستطاعته إقناع جلسائه بأفكاره.

ومن الشخصيات التي تنتمي أيضا لهذا التكتل نجد "يمينة وزينب" وهما من المتطوعات وعضوتين بالاتحاد النسوي. الأولى ممرضة لا يتعدى سنها العشرين حاول منسق القسمة يزيد اغتصابها، ولما رفضت طلب من رئيسة الاتحاد النسوي "أم الشيخ" إقصاءها من الاتحاد بعد أن طردها من الحزب بحجة فساد أخلاقها وذلك لتعاطيها الرشوة. وأخيرا قام بنقلها إلى مستشفى آخر. أما "زينب" فهي معلمة بالابتدائي، تعرضت هي الأخرى للطرد من الحزب ومن الاتحاد بدعوى صداقتها لـ"يمينة ". ولكونها من مناصري "ذرية النمرود" بقيت كصديقتها تتمنى يوما يأتي على "ذرية الذئاب".

وهناك شخصيات أخرى لكنها ثانوية ورد ذكرها في الرواية تنتمي هي الأخرى لهذا التكتل، إلا أنه لم يكن لها نفس الدور، ومن أمثلة ذلك سائق الحرايري الذي ساند نفسيا وفكريا "ذرية النمرود"، إلا أن لقمة العيش فرضت عليه البقاء سائقا عند الحرايري.

وهكذا فإن هذه النماذج جميعها (تشترك في خيبة أملها في الاستقلال الذي لم يحقق لها ما كانت تتطلع إليه من غد أفضل. فكان موقفها المعارض للسلطة ودعوتها إلى ضرورة تجديد هياكلها وإعادة النظر في ممارساتها حتى تتحقق العدالة وتستفيد جميع فئات الشعب الجزائري من ثمار

الاستقلال، لا أن تتعمق ألوان معاناتها وتقتصر الاستفادة على الفئة الأصولية والانتهازية التي تستغل مناصبها ونفوذها لقضاء مصالحها الخاصة، وتحقيق أسباب الرفه لها والنعيم)[21]. لذلك فهم يؤمنون بضرورة التغيير حتى إن لم يستطيعوا في الظرف الحالي، إلا أنهم مستمرون في نضالهم وغرس فكرهم في الأجيال اللاحقة.

ثانيا-شخصيات ذرية الذئاب:

تمثل شخصيات هذا التكتل الفئة التي جنت ثمار الاستقلال، وأفرادها تشغل مناصب حساسة داخل أجهزة الحزب، تعمل من خلالها على خدمة مصالحها لا غير. ونتيجة لسخط خصومهم عليهم فإنهم نعتوهم بأرذل الصفات كـ"ذرية الذئاب، الحلاليف وبني كلبون"، ويمثلها على الترتيب كل من:

1-الحاج عون الله: هو رأس "ذرية الذئاب"، له أتباع وأعوان كثر، مسؤول كبير في الحزب بالعاصمة، يتظاهر بولائه للاشتراكية لكنه على الرغم من ذلك «(يحاربها لو يجد الطريق. يكره الاشتراكية كما دم الضرس. يحصد من فوق الأرض كل واحد مؤمن بها. هذا الحقد يجري له في الدم. هذا مرضه)[22].

ومما ذكر حوله أنه عندما اندلعت الثورة ادعى بأنه شارك فيها وسجن مع زعمائها. وبعد خروجه من السجن فر هاربا إلى تونس حيث كون بها تجارة. وبعد الاستقلال مباشرة عين محافظا للولاية. وبفعل مركزه هذا قام بتنصيب العديد من أمناء القسمات ورؤساء البلديات من "الخبزيست" قصد إضعاف "ذرية النمرود"، حيث كان يجمعهم ويحرضهم ضدهم (عدو واحد حاربوه "ذرية النمرود". وأنت تقصد كل الثوريين... تؤكد لهم وتؤكد. حاربوا ذرية النمرود تأكلوا الخبز)[23].

كان ينافق مسؤوليه، ويتظاهر بالولاء للثورة الاشتراكية، ويمجد الشهداء وجبهة التحرير، وبالمقابل يقصي مناضليها الأوفياء، ويحرف كلام الرئيس عن الثورة وحزبها.

إن مركز "الحاج عون الله" السلطوي جعل منه رأس الفتنة فيما يحاك من دسائس ومناورات ضد "ذرية النمرود"، فالنمرودي في عرفه هو (كل واحد نطق بالثورة، آمن بها، كل واحد شاف المنكر وقال يتغير)[24]. فهذا هو عدوه الحقيقي لأنه يسعى إلى الفساد وخدمة أهدافه الشخصية لا غير.

2-الحاج الحرايري: يأتي في المركز الثاني من حيث النفوذ بين أفراد "ذرية الذئاب"، يشغل منصب رئيس اتحاد الفلاحين، ويزعم أنه درس في زاوية مولاي إدريس بالمغرب، ثم عاد إلى الجزائر وشارك في الثورة التحريرية. وبعد أن مرض رجع إلى المغرب ثانية. ولما أخذت الجزائر استقلالها عاد إليها مسؤولا كبيرا في القطاع الفلاحي.

وكان "الحاج الحرايري" كسابقه لا يؤمن بمبادئ الحزب ويكره ذرية النمرود إلى النخاع، همه الوحيد المحافظة على مصالحه. كما كان ينبذ النقابة ويرى بأنها سليلة للشيوعية.

بالإضافة إلى هذا كله كان مستاء كثيرا من الملكية الجماعية للأراضي، ويرى بأنها سببا في ركود الإنتاج. وكان في ذلك ينتظر قرارا حاسما من الحكومة ببيع تلك الأراضي حتى يتسنى له ولأتباعه الاستحواذ عليها (أنا من عندي الحكومة من الغد تبدأ في بيع أراضي المزارع والتعاونيات... خسارة في خسارة. وأنا واحد قادر على الشري. إذا قدرت أشترك مع غيري. "يزيد" قادر يشري. أصحاب المال والخير أعطى ربي)[25]. لذلك نجده يرفض مد يد المساعدة للفلاحين لتسويق التفاح قصد تحطيمهم والتنازل عن خدمة الأرض.

وأهم صفة تميزه أنه كان داهية في السياسة يقوم بحبك الدسائس والمناورات بغية الإطاحة بـ«ذرية النمرود" في الانتخابات، إذ كان يأمل في الوصول إلى منصب محافظ ويعمل على ذلك بمساعدة أنصاره ممن يشغلون مناصب سياسية من أجل إبقاء سيطرته فـ(الشعب، والحزب، والدولة، والثورة، والمسؤولية في حسابه زايد ناقص، تحرق الجزائر؟ تخرب؟ يحتلها الأعداء؟ ما يهمه...)[26].

3-يزيد: يشغل منصب منسق القسمة. يمتاز بوصوليته وانتهازيته يأمل في المحافظة على مركزه. كان له الفضل الأكبر في تعيين ابن عمه "الحاج المزرقط" رئيسا للبلدية بغية الحفاظ على مصالحه وتوسيعها.

وكان في موقع منصبه يكره كاتب القسمة "ولد ربيعة" إذ يرى فيه المزاحم الوحيد له داخل القسمة، لذلك توعده بالنيل منه خاصة عندما هدده بالملفات. كما ساهم رفقة "الحاج الحرايري" في تعطيل تسويق التفاح، بالإضافة إلى محاولته اغتصاب "يمينة" وظلمه لصديقتها "زينب"، ومحاولته منع "ذرية النمرود" من دخول الحزب، لأنه يرى بأن المسؤولية لا يمكن أن يتحملها إلا الأغنياء وأصحاب النفوذ، لا الفقراء من الفلاحين (ربي خلق وفرق لكل واحد رزقه في اللوح المحفوظ. دخلوا في

شرك ربي كفار. المسؤولية بالأرض والأرض بالمسؤولية مثل المرأة للرجل. يا عباد الله: قادر يتحمل المسؤولية راعي أو خماس؟...)[27].

ولما قرب موعد الانتخابات سعى إلى تزويرها متحديا في ذلك خصومه مخاطبا إياهم قائلا: (بالقوة أنا منصب، بالجاه أنا منصب، بالمال أنا منصب)[28].

وبغية تحقيق هدفه بضمان بقائه على رئاسة القسمة لم يتردد في رشوة "الحاج الحرايري" من أجل تزوير الانتخابات لصالحه (العربون وصلكم...؟ الكبيرة يوم تنصيبي، لكن أضمنوا فوزي في الانتخابات وعلى رأس القسمة نصبوني...)[29].

وبالفعل حدث وأن زورت نتائج الانتخابات لصالحه وهو ما أثار غضب "ذرية النمرود" وذلك باشتباكهم مع أنصاره مما أدى إلى إصابته في الرأس، إلا أنه لم ينعم كثيرا بمنصبه الجديد القديم إذ سرعان ما عزله " الحاج عون الله" (الحاج عون الله كان يظل عند أم الشيخ. البارح كان هنا وأوصى بعزل يزيد من القسمة وقال: صار ورقة خريف أسقطتها ريح بالول... وربما تتعفن...)[30]. لأن تواجده في القسمة صار خطرا يهدد منصبه.

ومن الشخصيات التي يمكن إضافتها إلى هذا التكتل مدير مصنع الورق "سي مقدر" الذي استخدمه الحاج عون الله وسيلة في تزوير نتائج الانتخابات، و"أم الشيخ" رئيسة الاتحاد النسوي وعشيقة "الحاج عون الله" التي تعمل على توسيع شعبية "ذرية الذئاب" داخل الوسط النسوي. كما قامت بطرد كل من "يمينة وزينب" من عضوية الاتحاد كونهما من أنصار "ذرية النمرود". إضافة إلى ذلك هناك شخصية "الشاف" قائد فرقة الدرك الوطني الذي لم يتأخر ولو للحظة واحدة في اعتقال زعماء "ذرية النمرود" وتعذيبهم ظنا منه أنه يخدم السلطة.

إن جميع أفراد "ذرية الذئاب" سواء في الحزب أو الحكومة (ما عندهم صفة تميزهم كل يوم في لون. الشيطان يحار فيهم. حياتهم كلها مبنية على الخدعة. ناس ترهن شرفها قالها الجدود..."على كرشه، يخلي عرشه" جدودهم سبقوهم عند القادة والباشاغوات)[31]. كما أن ثلاثتهم يجمعهم (الكبت الجنسي الذي يعبر في حالتهم عن غياب التوازن ويؤشر على فشلهم الذريع في إقامة علاقات إنسانية مشبعة، الأول من خلال علاقته المشبوهة مع "أم الشيخ" والثاني والثالث عبر رفضهما على التوالي من طرف "جازية ويمينة")[32] لسلوكهم واعتقادهم بأن بالمال والسلطة بإمكانهم فعل كل ما يريدونه.

خاتمة:

استطاع "الحبيب السايح" من خلال الشخصيات المحورية لـ"زمن النمرود" تناول الابعاد الاجتماعية، والمؤثرات السياسية المتصلة بكل شخصية. أما الصراع الأساسي فقد دار في الواقع الاجتماعي، ومن خلال العلاقة الجدلية بين هذا الواقع وبين الشخصيات، تنمو الشخصيات وتتحرك وفقا لمنطق النمو الذي ينظر إلى حياة الفرد على أنها تراكم من لحظات الزمن المقيدة اجتماعيا. وربما كان هو السبب في أن تصبح شخصيات "ذرية النمرود" موقفا ونمطا للحياة يكشف عن رؤية المؤلف التي طرحها في هذه الرواية والتي تقوم على قضية الصراع مع الواقع.

أخيرا يمكن القول بأن الروائي قدم أبطال "ذرية النمرود" على أساس أنهم يمثلون نموذجا للمقاومة الجماعية لتيقنه من أن المقاومة الفردية لا تجدي نفعا، وأن القضية ليست قضية فرد بل هي قضية وعي جماعي مرتبط بالصراع الذي عاشته الجزائر نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن العشرين بين الاشتراكيين والرأسماليين.

الهوامش:

(1) - مجموعة من المؤلفين: المعجم الوجيز (الميسر)، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط 1، 1993، ص: 285.

(2) - حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط 2، بيروت، لبنان، 1993، ص: 25.

(3) - حسن حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط 1، بيروت، لبنان، 1995، ص: 223.

(4) - ينظر عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، ديوان المطبوعات الجامعية، د. ط، الجزائر، 1995، ص: 175.

(5) - بوشوشة بن جمعة: اتجاهات الرواية العربية في الغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، ط 1، تونس، 1999، ص: 232.

(6) - الحبيب السايح: زمن النمرود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 35.

(7) - المصدر نفسه: ص: 93.

(8) - المصدر نفسه: ص: 38.

(9) - المصدر نفسه: ص: 85.

(10) - المصدر نفسه: ص: 87.

(11) - المصدر نفسه: ص: 91.

(12) – المصدر نفسه: ص: 151، 152.

(13) - المصدر نفسه: ص: 150.

(14) - المصدر نفسه: ص: 164.

(15) - المصدر نفسه: ص: 168.

(16) - المصدر نفسه: ص: 153.

(17) - المصدر نفسه: ص: 20.

(18) - المصدر نفسه: ص: 21.

(19) - المصدر نفسه: ص: 207، 208.

(20) - المصدر نفسه: ص: 208.

(21) - بوشوشة بن جمعة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، ص: 233، 234.

(22) - زمن النمرود: ص: 61.

(23) - المصدر نفسه: ص: 63، 64.

(24) - المصدر نفسه: ص: 65.

(25) - المصدر نفسه: ص: 72.

(26) - المصدر نفسه: ص: 71.

(27) - المصدر نفسه: ص: 49.

(28) - المصدر نفسه: ص: 190.

(29) - المصدر نفسه: ص: 177.

(30) - المصدر نفسه: ص: 212.

(31) - المصدر نفسه: ص: 86.

(32) - حسن بحراوي: الرواية والواقع قراءة في زمن النمرود، مجلة آفاق ع 1، اتحاد كتاب المغرب، الرباط، المغرب، 1990، ص: 90.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا-المصادر:

1-الحبيب السايح: زمن النمرود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

ثانيا-المراجع:

أ-الكتب:

1-بوشوشة بن جمعة: اتجاهات الرواية العربية في الغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، ط 1، تونس، 1999.

2-حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط 2، بيروت، لبنان، 1993.

3-حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط 1، بيروت، لبنان، 1995.

4-عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، ديوان المطبوعات الجامعية، د. ط، الجزائر، 1995.

ب-المعاجم والقواميس:

1-مجموعة من المؤلفين: المعجم الوجيز (الميسر)، دار الكتاب الحديث، ط 1، الكويت، 1993.

جـ-المجلات:

1-حسن بحراوي: الرواية والواقع قراءة في زمن النمرود، مجلة آفاق ع 1، اتحاد كتاب المغرب، الرباط، المغرب، 1990.